

## نظام الأسرة في مصر وعلاقة الزواج والطلاق بهذا النظام للسيدة تفيده غلام

لعل لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن نظام الأسرة في مصر سواء أكان في المدن أم القرى هو نظام واحد إلا أنه في المدن يحتاج إلى مظاهر المدنية .

وفي القرى يحتاج إلى المحافظة على عادات أهل القرية . والمدنية في المدن والعادات في القرية كلاهما عادة ، إلا أن العادة في المدن مكتسبة ، والعادة في القرى موروثية . والدليل على هذا أننا ونحن في المدينة لا نستطيع الإقلاع عن تلميد من نتخذه أعموداً لنا في حياة المدينة ومتى ذهبنا إلى القرية راعينا العادات الموروثة وطرحنا جانباً كل مؤثرات المدنية .

فالأسرة هي الأسرة ، سواء أكانت أسرة أسست في المدينة ، أم أسست في القرية . لأن الأساس واحد في الاثنين وأعني به الزواج .

فالزواج أساس الأسرة وتكوين الأسرة لبنة في بناء العمران . ولكن هذا التكوين الذي نتحدث عنه يحتاج إلى شيء من التفكير في نوع المعاول التي تهتم الأسرة بتحويل بناءها إلى أقباض .

والأسرة في ذاتها حكومة يهيمن عليها رب الأسرة ، فالزوج المسئول الأول عن أمانة الأسرة على كيان الأسرة ، كما أن شريكته في الحياة تضطلع بمسئولية تقرب من مسئوليته إذا أشركها في نظام الأسرة الاقتصادي . أما إذا أسندنا إليها وظيفة الأولى وهي وظيفة التربية وإكساب الأخلاق لأفراخها وجعلها النموذج الحى لخادمتها ومن يعاشرها من باقي أفراد الأسرة أو الجيران فهي تنوء تحت مسئولية جسيمة متفرعة إذا فسناها بمسئولية الرجل .

والمعروف أن نظام الأسرة عند الفنز أو الكبير يستأثر الرجل بوضعه ولا يند من يعترض على وضع هذا النظام حتى إذا ظهر خطأ في نظامه هذا لام شريكته في الحياة . وكل الأنظمة التي يضعها الرجل بمفرده مع الأسف أنظمة مرتجلة لا تمحيص فيها ولا تدقيق ولا استعراض لما حاق بالأسر التي سبقته ، ولم يأخذ درساً يفيد في حياته الزوجية من الدوحة التي كان فيها غصنا فند كان ابنه له أم وأب واخوة أكبر منه أو أصغر ، ولكنه يشذ عن عادات أهله وأسرته الأولى ظناً منه أن كل إنسان ميسر للزمن الذي وجد فيه .

وقد يزداد الغرور فرى أن أباه الذاجر لم يعمل شهادات ويعز عليه أن يرجع إليه ليتلمذ عليه في تنظيم الأسرة ، ولذلك يرتجل في كل شهر نظاماً ويحدد ميزانيته العامة شتلة فيرجع في كل شهر إلى نظام جديد .

هذا إذا كان يمكن بعيداً عن أهله ليكون أسرة ويؤسس عائلة كما صنع أبوه من قبل

وهذا ما يجب أن يكون فأول معول يقوض صرح الزوجية المتين هو الخلاف الذى يذب بين الزوجية وأم زوجها .

نظام الأسرة بناء إذا بنى على الرمل ينهار ويجب أن يكون أساسه كما سنده الشرع الشريف أساسا متينا قويا وأعني به الزواج فالزواج رباط متين يجب أن يبنى وإلا يدرك بهاءه الناصع أى لون من ألوان التشويه .

الزوج ولد له أم حملته كرها ووضعته كرها وأحبته أكثر من نفسها وفضلته على كل شيء عداه ولكنها فى ساعة من ساعات الهناء تفقده حيا ويذهب إلى مخلوقة أخرى هى زوجته فيستحجها قلبه ويقف عليها عاطفته وحانه كما أنها تبادل له كيلا بكل وصانا بصاع ويغيم عليهما طير الهناء يرفرف بأجنحة ملائكية وأعني بها الألفة والاتحاد .

هذه المخلوقة التى شعرت بحب الزوج وعطفه وبأدله أكثر منه لا يجد كلامها فراغا فى قلبه لغير شريكه فتظن الأم أن هذه الأجنبية سطت عليها ونزعت من فوق رأسها تاج عزتها وكرامتها وطارت بلها معه .. وأصبحت عدوتها لأنها حرمتها من فلذة كبدها .

وهناك أم الزوجة وهى فى المرتبة الثانية بعد أم الزوج هذه قد تساعد على بناء صرح الهناء الزوجى أو تقوضه مثال ذلك أن الأم لشدة حنانها ومحبتها لبتها قد يشغل بالها تهية مستقبل لبتها وترغم أن فى هذا سعادة بنها ولكنها تستشير كاهلة أو امرأة تحسد بنتها على هذه السعادة فتلقى ببداها أو بلسانها بلغة أفصح قبلة دونها القبلة الذرية فيتصدع ذلك البناء وتشتق ابنتها شقاء يلازمها حتى تزف إلى القبر .

وهذه القبلة تلقى بشكل نصيحة أولا وآخر أو على هيئة أسئلة عما يصنمه الزوج وتأسرها بأن تظهر الغضب والتأفف ليظهر لها الذلة والمسكنة وقد تكون جريئة الكبرى أنه يساكن أمه أو يزورها من وقت لآخر .

وقد تكون الحماة امرأة لا تعرف معنى الهناء الزوجى ولكنها تطمع فى أن تجعل ابنتها من ذوات الغنى واليسار فتعمل على إبراز أموال الرجل فان كانت مدنية بطبعها تطالبه بالاتفاق على مظاهر المدنية لتسير أكبر منها جادا وأكثر غنى ولا تفارن بين الغنية والزوج المسكين فيختل نظام الأسرة ماديا ويطيش سببها فان كان موظفا امتدت يده إلى أموال الدولة واختلس ليشع نهم الزوجة أو أمها على وجه أصح وإن كان تاجرا امتدت يده إلى رأس المال وكان ماله الإفلاس وحسبه مباحج المدنية وزخرقتها الذى أقعده ملوما محسورا .

وإن كان من سكان القرى تمتدت السمات والباشايات والمعارك الكلامية ولكن الماديات الموروثة تصبح مأوفا لا يحيد الرومان عنها فتسكن الزوجة أم زوجها ويستغلان

في المنزل معا أو الفيط معا ( كل حسب درجته ) إلا أن أم الزوجة لا ننثا تذكر حماة ابنتها بكل قبيح وقد تحدث مشاحنات تنهى بتدخل الثالثين ، عائلة الزوجة والزوج ، ويجرد كل منهما سلاحه المادى ، فيخر منه القتل والجريح ، ويتولى الحاكم الأمر وتفتح أبواب السجن وتزداد الحزازات ، بينما الزوج والزوجة يودان لولم تعكصفوهما مثل تلك الحوادث ، وقد ينخل رباط الزوجية بعد أن يستحكم العداء بين العائلتين ، والزوج والزوجة في حالة لا يحسدان عليها ، فالزوج لا يستطيع رؤية زوجته حرصا على كرامة عائلته ، كما أن الزوجة لا تستطيع أن تبوح باسم مطلقها ، لأن هذا فيه كل العار ويكون الحب المنشود من الزواج ، برمية قد تعاقب عليها الزوجة بالقتل لأنها لم تجار أهلها في كره زوجها ، وليس لها نصير إلا الله ، كما أنها لا تملك غير دموعها السخينة تذرفها في صمت وألم .

فالأزواج وهو أساس النظام الزواجى في مصر ، يجب أن يكون بعيدا عن كل المؤثرات ومتى يصبح الرجل زوجا يجب عليه أن يكون رجلا بالمعنى المستفاد من هذه الكلمة ، فإن كان مدنيا تفاهم مع زوجته فإن طالبتة بما لا يستطيع تحقيقه لعمر مالى صارحها بهذا وكاشفها بحقيقته لأنه هو المسئول الأول ، فقد يحدث أن يدعى الانسان الغنى واليسار ، وأن يقبأه بمركره ويفاجر بمرتبته ويزيد عليه أضعافه ، ليقال عنه إن فلانا ميسور وررقه يجرى بين يديه سبلا يتدفق ، وقد يكون موظفا باليومية ويدعى أنه رئيس عمل يأمر وينهى ، وقد يكون أمه هى التى تمدد بشىء من المال يستعين به على الحياة فيتظاهر بمظهر أكبر منه ، والزوجة فى هذه الآونة لا تلام ، إذ هى طالبتة بالملبس الفاخر والتمتع بمباهج المدنية ، خصوصا وأنه زمن خطبتها لا يرضن عليها بالذهاب إلى دور السينما وأنواع الملاهى ويهوددا على مشاهدة أماكن لم تسمع بها كالسباق وغيره ، حتى إذا ما أصبحا زوجين ، حرما من كل تلك المباهج .

هذه الناحية الخلقية الاجتماعية ، لم يتنبه إليها أحد وإنما طريق ملتو الذى يسلكه الزوج إلى صرح الهناء الزوجى ... ! فمن المعلوم إذن ...

الزوجة إذا أصرت على دوام حياة الخطبة الهيئته التى كانت سببا فى نسيان أهلها وأزائها ومنبتها وأكثر من هذا أرادت تقليد من يذهبون إلى ذلك المعرض الفاخر ، والزوج مسكين لا يستطيع أن يقوم بتلك النفقات ، ولا بصارحها ويقول لها الحقيقة ، فتظن أنه ضنين عليها بماله ، وأن الكره دب بينهما ، وأنه يستمع لأمه وأحله ، وهى لا تجد من تشكو إليه هذا الضن إلا أمها التى تظنى عاطفها على كل شىء ، وتجد أن ابنتها مهضومة الحق ، ويجب أن تفصلها عن زوجها ، لأن هذا فى نظرها كبر عقاب يترى بالرجل ، وما علمت أنه عقاب مزدوج ، للزوجة النصيب الأكبر .

هذا من ناحية الإيهام والغرور وهناك ناحية أخرى أشد هي تحكم الأم في ابنتها عندما تسمع أو يشكر الابن لأمه حاله ومطالبة الزوجة بما لا يستطيع الانفاق عليها ولم يذكر الأسباب التي دعمتها فتوصف الزوجة بأنها تريد خراب البيت وأنها لا تصلح له ويظهر الهداء الكامن ويشند اللجاج في الصائح الذهبية فيحشى الزوج كالجئون يهذى تارة ويحدث نفسه أخرى ويدخل البيت على غير عادته ويتبدل حاله وهناك تشعر الزوجة بأنها مهنومة الحق مساوية الهناء والسعادة والأسف ينشرني ويطويحي حين أقول لبنات جنمى أننا لم نحسن التفاهم ولا إدارة الحديث الزوجي باللباقة التي يتطلبها الموقف فبدلاً من أن تطفىء تلك النار التي أوجعتها حمايتها تطفىء عليها حطباً وهشياً ويتبدل الدلال نفوراً . وتصبح الحياة أضلم من حياة الأنعمى وإذا تدخل ناصح بينهما يكون كالموقد مصباحاً بالنهار وتتمى الحياة بالطلاق .

والطلاق شرعه الله لقطع العلاقة الزوجية إذا تعذر الإمساك بالمعروف أما الرجل يستعمل هذا السلاح في وقت يكون فيه نائراً وبعد أن تهدأ تلك الثورة يعود إلى الندم أو بعد أن يرى نصحاءه بالأمس الشامتين فيه اليوم فهذا لا يسلم به العقل ولا يرضى الشارع بأن يكون الطلاق الذى هو قطع صصلة الألفة بكلمة إرضاء لأم أو تسترا على حياة البذخ الكاذب فهذا لم يقصد إليه الشارع .

ولكن الطلاق لا يكون إلا بعد استعالة الحياة الزوجية وعدم تماسك ببيان المناء الزوجي وأن الهواء العليل يقتاع ذلك الصدع ففى هذه الساعة يحسن التطبيق لأنهما لا يندمان على الفرقة .

وإذا كان الزواج أساساً للسعادة الزوجية والطلاق هو مقوضها فلنوازن بينهما وليكن التقويض فى الوقت الذى يتنافى معه البناء أو يستحيل .

ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عمداً ليسلم سائرته

وفى ختام كلمتى هذه أريد أن أخلص ما مضى وما ضربت من أجله الأمثلة فأقول أن الزواج وإن كان أساساً فالصدق هو قوائمه ذلك الصريح وحسن التفاهم أن يكون الزواج غيراً صر على المنفعة فقط ولكن يكون لغرض شريف هو تكوين أسرة خاصة كالحبة التي تنبت سبع سنابل فى كل منبلة مائة حبة فهل أجد من بنى وطنى من يفقه قولى هذا ويعمل على إيجاد التفاهم والوثام بين العائلتين التي تمحصل بينهما المصاهرة ليستند أزر كليهما بالأخرى ونعرف كيف نعيش عيشة هنية ونحيا حياة سعيدة .

تفقيده علام

مديرة مدارس جمعية أمهات المستقبل